قصيدة "أفدي بلاءَكَ" لأيمن العتوم - مُقارَبة سيميائية

الأستاذ المساعد الدكتور عباس يداللهي فارساني
جمهورية إيران الإسلامية
قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الشهيد چمران ـ الأهواز
farsiabas@gmail.com

the Ode "Afdi Balaek (I Will Sacrifice myself to you Semiotic Analysis – Pain)" of "Ayman Al-Atum"

Dr. Abass Yadollahi Farsani
Assistant professor in Arabic Department of Shahid Chamran
University of Ahvaz

ملخص:ـ

تهتمّ السيميائية بدراسة العلامات ضمن النصوص الأدبية وعلاقتها بالعنوان والمضمون وقد احتلّت حيزاً كبيراً في النقد الألسني الحديث. يعالج البحث تحليل إحدى القصائد المعنونة (أفدي بلاءك) تحليلًا سيميائيا للشاعر الأردني الحديث، أيمن العتوم، الذي يعدّ واحدًا من شعراء المقاومة. تمّ إعداد هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي معتمدًا على المصادر التي تعني التحليل السيميائي للنصوص الأدبية. في البداية يتناول البحث دراسة السيميائية من منظور اللغة والمصطلح وتسليط الأضواء على عملية العنونة ومكانتها في النقد السيميائي، ثمّ يقف لدراسة هذه القصيدة من منظور السيميائية وتمثيل عنوان القصيدة وعلاقته ببنية القصيدة. أخيراً خلص البحث إلى أنّ عملية العنونة لدى الشاعر لم تكن وليدة الاعتباط والصدفة، بل كانت مدروسة ومقصودة ونجد عبر عملية العنونة علاقات وطيدة بينها وبين هيكلية القصيدة. يتبين لنا عبر هذه الدراسة أنّ الشاعر جنح إلى عنونة القصيدة للتعبير عن القضايا الدينية والسياسية التي ترأسها قضية "فلسطين" المحتلة والذبّ عن الهوية الإسلامية والعربية وتجسيد الانتماء القومي وتمثيل المعاناة الروحية والنفسية جرّاء احتلال "فلسطين" وما قام به الكيان الصهيوني من ممارسات إجرامية ومؤامرات بحقّ هذا الشعب المقهور. من ثمّ نجد نمطًا من التوازن والانطباق بين العنوان ومضمون القصيدة.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، العنوان، الكيان الصهيوني، المتلقّي.

Abstract:-

The science of semiotics analyzes the signs in the context of literary texts and their connection with the title and content of the text and it has recently gained a widespread position in the criticism of the modern linguistics. This paper is an attempt to analyze one of the odes entitled "Afdi Blaek (I Will Sacrifice myself to you Pain)" written by the Jordanian contemporary poet "Ayman Al-Atum". He is considered as one of the poets of resistance literature. Relying on an analytico-descriptive approach and by virtue of the references related to linguistic analysis the present paper deals with analyzing this ode. At first, the study is commenced by defining the word 'semiotics' in respect to its lexicon and technical meaning followed by recognizing the subject of the title in the ode and its relation with context thereof. Finally, it has been concluded that the process of choosing the title in this poem has not been emerged accidentally or subconsciously but it had been mapped in his mind beforehand and we realized that the process of choosing the title is in a close and intimate connection with the structure of the ode. It was clarified that in this process, the poet expresses religious and political subjects among which the topic of occupied Palestine is the top priority. He has aimed at defending the Islamic and Arabic Identity and depicting ethnic affiliation as well as the spiritual pain of the occupied Palestine caused by the offences of the Zionist Regime against this oppressed nation. Accordingly, we can find out a type of coherence between the title and concept of the ode.

Keywords: Semitics, Title, Zionist Regime, Audience.

مقدمة:ـ

تبلورت قضية الدراسة السيميائية في بداية القرن العشرين بوصفها موضوعًا عامًا يرمي إلى كيفية توظيف الأنساق الدلالية ضمن خارطة الإبداعات الأدبية، فحياة الشاعر أو الكاتب تنبني على الدلالة، إذ يستطيع من خلالها إقامة القيم الفكرية والأدبية ومشاركة المتلقي في المواقف والرؤي والتعبير عن النزعات الشعرية والميول الذاتية والتجربة الشعرية والشعورية معًا.

بما أنّ المنهج السيميائي بمعناه العامّ ينطوي على الدلالة وفحص مناهجها وطرق تواجدها ضمن النصوص الإبداعية من حيث الشكل والبنية أو الإنتاج والتوظيف، فمن هذا المنطلق نجد ملامح هذا المنهج ضمن النصوص الأدبية القديمة، لأنّه يخلق عبر التوظيف صلات وطيدة في نشاط الإنسان الذهني. إذن، تهتمّ السيمولوجية بدراسة تواجد الدلالات ضمن النتاج الأدبي ومعرفة كنه هذه الدلالات وكينونتها، فالمعطيات الأدبية تتضمن على هذه الدلائل، والسيميائية علم تضافرنا على وظيفة هذه الدلائل ضمن الإبداع الفني.

كما يحاول هذا المنهج الكشف عن الدلالات ضمن النصوص الإبداعية والإبانة عن قدرة وسائل التعبير وأسلوبيتها عبر عملية التواصل مع المتلقي لخلق الوجدان المشترك معه والتمثل على النحو الذي يجسّد فائدة الفعل المنهجي للنصوص.

من الواضح أنّ السيميائية تهتمّ بأنظمة العلامات من أجل التعرف على كنهها، وعلاقاتها بغيرها ضمن خارطة النصّ الأدبي، وهو علم يحاول فهم النص بغضّ النظر عن المؤثرات الخارجية، فالنص الأدبي من منظور السيميائية مفعم بسلسلة من الانبثاقات الدلالية التي توجد في كل عصر وزمان، وتلغي حضور الكاتب أو الشاعر عبر عملية القراءة وبذلك تفسح المجال للمتلقّي، ومن ثمّ يعدّ المتلقي أو القارئ بؤرة أساسية وشريكا مركزيا في المنهج السيميائي حيث يعطي دوراً بارزاً وهامّاً للمتلقي ويعطيه قدرة فائقة لتحليل النصوص والإنتاجات الأدبية ليقوم بعملية المقاربة مقاربة تأويلية ضمن حدود النصّ لمعرفة فكّ شفراته. من هذا المنطلق، تسهم السيميائية بقدر كبير في تنمية الوعي النقدي لدى المتلقي عبر التعاطي الدقيق للنصوص.

منهجية البحث

تمّ إعداد هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي معتمداً على المصادر التي كانت ضرورة للتحليل السيميائي وفكّ شفرات النص خاصة المصادر والمراجع التي تمتّ بصلة وثيقة إلى علم السيميائية.

خلفية البحث

لم يتناول الدارسون والباحثون دراسة شعر "أيمن العتوم" كما ينبغي حيث يتصف نتاجه الشعري بالإبداع والتميز. من أهم الدراسات التي تمّ نشرها حول شعر "أيمن العتوم" ما يلي:

١- صورة الأقصى في شعر د. أيمن العتوم من خلال قصائده (خذني إلى المسجد الأقصى، يا قبل أمتنا، ملحمة الأقصى).ديوانه: (خذني إلى المسجد الأقصى) نموذجاً. د. فيصل حسين غوادرة. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. المجلد ٢٣. العدد الأول.٢٠١٥م، صص ٦٨-٢٩.

تناول الكاتب خلال هذه الدراسة صوراً متعددة للمسجد الأقصى التي تبلورت ضمن المدونة الشعرية، من أهمّها الصورة التاريخية للمسجد الأقصى، ثم الدينية وكذلك مكانته عند العرب والمسلمين، ثم أبرز معاناة الأقصى من جرائم الاحتلال التهويدية والتدميرية.

٢- العتبات النصية في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم. رسالة جامعية. زينب مسلّم. جامعة محمد خيضر بسكرة. ٢٠١٧م.

قامت الكاتبة خلال الدراسة بفكّ شفرات النص الأصلية والفرعية من أيقونات متوزعة على غلاف كاسم المؤلف والعنوان الرئيس والتجنيس والصورة وغيرها من أيقونات تكشف قصدية النصّ.

أسئلة البحث:-

يتمحور هذا البحث حول جملة من تساؤلات لعلّ أهمّها ما يلي:

١- ما علاقة العنوان بالمنهج السيميائي؟

٢- كم يساهم العنوان في قصدية النص الأدبي؟

٣- كيف يمكن لنا أن نعتبر العنوان نقطة التواصل القرائي بين النصّ والمتلقّي؟

٤- لماذا اهتمّ "أيمن العتوم" بمكانة العنوان وإستراتيجيته ضمن خارطة النصّ الشعري؟

٥- كم نلاحظ التوافق والانسجام بين العنوان والنص الشعري عند الشاعر؟

٦- هل تعدّ عملية العنونة للقصيدة عند الشاعر اعتباطية بمحض الصدفة أم هي مقصودة ومدروسة؟

٧- كم أسهمت عملية العنونة لدى الشاعر في شدّ انتباه المتلقّي وإثارته ولفت النظر تجاه الموضوع الذي يتصدر كتلة النصّ المبدع؟

ضرورة البحث:-

تكمن أهمية البحث في تسليط الأضواء على علاقة العنوان ببنية القصيدة عند الشاعر الأردني الحديث "أيمن العتوم" الذي لم يتناول الباحثون والدارسون علاقة العنوان ببنية القصيدة لديه حتى الآن. لا ريب أنّ عملية العنونة لدى الشاعر لم تكن وليدة الصدفة والاعتباط، بل كانت من وعي يجسد المشاعر والأحاسيس الدفينة لديه مما جعله يختار العناوين التي تنسجم مع خارطة النص الشعري.

فرضيات البحث:-

من أهمّ الفرضيات التي يمكن طرحها عبر الدراسة ما يلي:

١- من المفترض خلال هذه البحث أنّ عملية العنونة لدى الشاعر تقيم صلات وطيدة بين القضايا الاجتماعية والسياسية الراهنة في العالم الإسلامي والعربي خاصة في فلسطين المحتلّة.

٢- يمكن لنا أن نفترض عبر البحث أنّ عملية العنونة لدى الشاعر تعدّ مرحلة من مراحل الإبداع الفني والأدبي حيث تعبّر بصورة واضحة عن مواقف الشاعر المختلفة تجاه المجتمع الإسلامي والعربي وتمثّل تجربته الشخصية والذاتية، إذ نلاحظ بواكير النضج الأدبي والثقافي لديه.

٣- من المفترض أنّ عملية العنونة لدى الشاعر لم تكن اعتباطية دون تروٍّ ولا صدفة، بل كان الشاعر على وعي كامل بها، فالعنوان جاء معبّرًا عما خامر كيانه من مواقف ورؤي فكرية.

نبذة عن الشاعر:ـ

يعدُّ الشاعر "د. أيمن على حسين العتوم" من الشعراء الكبار في الأدب الأردني الحديث والذي ولد سنة ١٩٧٢م بمنطقة جرش - الأردن. حصل الشاعر على شهادة الدكتوراه من الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٧م في فرع اللغة العربية وآدابها. كما عمل الشاعر في مجال الهندسة المدنية حيث صار عضواً بهيئة الأدباء المهندسين. له إنتاجات أدبية قيمة يمتّ معظمها بصلة وثيقة إلى فكرة الصمود والمقاومة وتجسيد ما حلّ بالبلدان الإسلامية خاصة فلسطين المحتلّة من نكبات وثورات ومجازر بشعة. يقول أيمن العتوم عن مهمّة الأدب: ((رسالة الأدب المقاومة، ويجب على كل مثقف عربي أن يحملها ويتبناها. فالمثقفون العرب مطالبون بأن تكون قصائدهم وكتاباتهم موجهة ضد الاحتلال وضد التطبيع، ومع المقاومة ومع رسالة المقاومة))[١].

من أهمّ دواوينه الشعرية فضلاً عن ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى"، "بوارق الفجر"، "البيارق"، "الزنابق"، "المشارق"، "القمر المسافر"، "قلبي عليك حبيبتي".

السيميائية لغة واصطلاحًا

اشتقت هذه المفردة من مادة (سوم) حيث ورد في اللغة ((السوم والسمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس جعل عليه سمة))[٢]. تعدّ هذه المفردة من المفردات التي ضربت جذورها في التراث العربي القديم حيث نجد ابن خلدون يتحدث عنها ويقول: ((وهو المسمّى بهذا العهد بالسيمياء وهو تفارع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله))[٣]. يرادف هذه اللفظة في اللغة الإنكليزية (signal) التي تعني الإشارة، الرمز، العلامة والدلالة غير المباشرة. أما علم السيميائية من منظور النقد الأدبي الحديث فهو علم يتحدث عن دلالة الإشارات ضمن الأنظمة اللغوية، ومن التعريفات التي وردت عنه في النقد الحديث ما يقول "بيارغيرو" حيث يقول: ((العلم الذي يهتمّ بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، الإشارات والتعليمات))[٤].

أما السيميائية من منظور المصطلح فهي علم يبحث عن دلالة الإشارات ضمن الأنظمة اللغوية والوحدات اللسانية وقد وردت تعاريف عدة لهذا المصلح في النقد الأدبي الحديث ومنها ما ذهب "بيارغيرو" إلى أنّها ((العلم الذي يهتمّ بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، والأنظمة، والإشارات والتعليمات، فهي تدرس العلامات المختلفة كنظام الصوت واللون واللغة...وهي لا تدخل ضمن مفهوم السيميوطيقا))[٥] ويعرفها صلاح فضل بأنّها ((العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الاعتبارات الدالة، وكيفية هذه الدلالة، فالسيميائية في نظره هي العلم الذي يدرس الرموز والإشارات الدالة))[٦]. تتضمن هذه التعاريف السابقة القيمة الواقعية لعلم السيميائية التي تعني الاكتشافات الدقيقة لخبايا النصوص وزواياها، وكل هذا يبين لنا أنّ المنهج السيميائي غايته الكشف عن دلالات السمات الكامنة في مجاهل اللغة، الطبيعية والاصطلاحية معًا، كما أنه يهدف إلى استكشاف نظام البناء والعلاقات في مختلف أشكال التواصل وفق منطلقات منهجية ومرتكزات نظرية، لذلك فهو يمتد ليشمل مختلف الأنظمة التواصلية، إذن يمكن القول إنّه عام لجميع أنساق العلامات[٧].

قبل التطرق إلى دراسة القصيدة من منظور السيميائية، لا بدّ لنا أن نعالج مفهوم العنوان ومكانته ودور عملية العنونة في التعبير عن مواقف الشاعر المتضاربة وعلاقاته ببنية النص الشعري.

مفهوم العنوان:ـ

يعدّ العنوان تلك البؤرة الدلالية القصيدة أو أي نتاج أدبي وهو بمنزلة مفتاح رئيس للولوج إلى النصّ ومغزاه النهائي لما له من علاقة وثيقة ومتأصلة بخارطة النصّ الأدبي، وهو العتبة الأساسية التي يرتكز عليها أي نص. مما لا شكّ فيه أنّ العنوان يؤدّي دوراً بارزاً في عملية فهم النصّ وهو العتبة الأولي التي اهتمّ بها علماء السيميائية لما يقوم بالإفصاح عن مدي العلاقة الثنائية بينه وبين النصّ. من هنا يعدّ العنوان في النتاجات الأدبية ((مفتاحاً أساسيا بامتياز، يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة بغية استنطاقها وتأويلها))[٨]. فالعنوان هو بطاقة الهوية لكل نص أو إبداع أدبي حيث يساعد القارئ أو المتلقي في عملية استنطاق النص والولوج إلى خفاياه ويحمل الصورة الكلية والعامة للمضمون، فلا يمكن لأي نص أن يكون العنوان فيه اعتباطياً وعشوائياً حيث يختاره الكاتب دون تروٍّ ولا فكرة.

أهمية العنوان في النقد السيميائي:ـ

أولت الدراسات السيميائية اهتماماً كبيراً بالعنوان ودوره في الكشف عن شفرات النصّ الأدبي، وتكمن أهمية العنوان في تمظهرات القدرة على فكّ مغزي النص واعتباره بؤرة الفكرة لدى الكاتب أو المتلقي كليهما. فالعنوان بمثابة البوابة التي يعثر الكاتب أو المتلقي على الغرض الرئيس للنصّ وهو علامة تدلّ على النص المقروء واستكشاف بنيته الدلالية ومفتتح لإضاءة النتاج الأدبي والكشف عن خباياه وعلامة لغوية ونقدية للإفصاح عن فكرة ما. إذا اعتقدنا بأنّ أيّ لغة مجموعة من الأنظمة اللغوية، فالعنوان تلك العلامة واللغة الذي يتسم بسمتين أساسيتين: النيابة والتمثيل. من هذا المنطلق، يمكن القول إنّ العنوان من الاستراتيجيات اللغوية التي يعتمد عليها الشاعر أو الكاتب للإبانة عن المعني المراد عبر خارطة النص الشعري. عنوان النص ((ليست الغاية منه توضيح مضمونه، إنما محاورة القارئ أنّ مضمون النصّ هو هكذا))[٩].

دراسة سيميائية لقصيدة أفدي بلاءك:

بعد ما تمت الإشارة إلى الجانب النظري للبحث نعالج أهمّ السمات السيميائية للقصيدة. العنوان الذي بين أيدينا ينمّ عن زيادة التأكيد على هوي البقاع الإسلامية خاصة فلسطين المحتلة وما أصابتها من نوائب وحدثان الدهر، ويعبر بصورة واضحة عما يختلج صدر الشاعر من حبّ وإخلاص للشعب الفلسطيني المقاوم.

إذا تأملنا في عنوان القصيدة (أفدي بلاءك) نجد أنّ هذا العنوان يشتمل على تفسير طفيف للغرض الشعري الذي رمي إليه الشاعر ضمن خارطة النص الشعري، وهو بمثابة بوابة يدخل المتلقّي من خلالها إلى عالم النصّ. يعبرّ هذا العنوان عن الوظيفة الإغرائية التي أراد الشاعر من خلالها الإفصاح عما لاقي من مرارة الاحتلال والقصف و ما يعاني الأطفال الفلسطينيون من الممارسات الإجرامية والمجازر البشعة التي قام بها الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة. حاول الشاعر من خلال هذه المقطوعة الشعرية استمالة القارئ ليرافقه في المشاعر والهواجس الدفينة التي خامرته. أما بالنسبة إلى الوظيفة الإيجابية فعنوان المقطوعة يساعد المتلقي على فكّ الرموز دون أن يقع في المتاهة والغموض. نلاحظ عبر عملية العنونة أنّ العنوان قصير مع أنّه يدل في طياته على جمّ غفير من الدلالات المختفية التي تسهم في الإبانة عمّا يعتري النص من البوح الكثير.

المستوى النحوي للعنوان:ـ

كل عنوان ضمن النصوص الأدبية تثير التساؤلات لدى المتلقي ويشدّ انتباهه لفهم عملية الاختيار الذي قام به الكاتب أو الشاعر لأي نص من النصوص الأدبية. فالقارئ بمجرد قراءة هذا العنوان يبحث عن الأسباب التي ساقت الشاعر مساق توظيف هذا العنوان الذي ينسجم مع الفكر والمواقف الواردة في النص. تنبني البنية التركيبية على التركيب النحوي الذي ينبغي أن ينظر إليه على أنه ذو فاعلية تؤدي جزءاً من معنى القصيدة وجماليتها وهو بذلك يتضافر مع سائر العناصر الأخرى في تحقيق الخطاب الأدبي وما فيه من معان ودلالات لغوية(١٠).

يتبين لنا من خلال هذا العنوان (أفدي بلاءك) أنّه تركب من جملة فعلية من الفعل المضارع الذي يدلّ على الاستمرار والمفعول به وهذه الجملة الفعلية مشحونة بشحنات مواصلة العمل ومتابعة الخطّة دون أي ملل ولا ضجر. جملة (أفدي) عبارة مطلقة لم يتمّ فيها التحديد أو حصر الزمن، فالشاعر لم يحدد وقت الفداء والتضحية، بل اتخذه مطلقاً غير معين. نجد الشاعر عبر هذه الجملة الفعلية يتجاوز المعني التقريري المألوف ويتعامل مع اللغة ويستثمر البنية الدلالية للجملة وهنا مكمن الانزياح الذي يخرج اللغة عن وظيفتها التواصلية وتوجيهها نحو الوظيفة الفنية الجمالية. هكذا نجد العنوان استهلّ مستساغاً وسهلاً دون أي تأويل ولا تفسير يوضحه. من البديهي أنّ الشاعر جنح إلى اختيار الجملة الفعلية عنواناً للقصيدة، إذ تدلّ هذه الجملة الفعلية على ما اختمر كيانه من دلالات لغوية ونحوية قائمة على الواقع المعيش للشاعر الذي يريد أن يعيش هذا الجوّ المفعم بالتضحية والإيثار، فمعني هذه الجملة الفعلية ((ليس مجرّد تحديد علاقاتها بالجمل الأخرى، بل هو يستلزم أيضاً منطقية علاقاتها بالعالم الخارجي))(١١). لذلك نري الشاعر عبر هذه التركيبية العنوانية يبحث عن فكرة المواصلة والمتابعة، إذ العنوان نص صغير ويكون الموضوع نصاً كبيراً يتعامل معه ذلك النص الصغير ويجعله الشاعر في إطار أدبي متميز يكشف عن هويته.

عمد الشاعر عبر عملية اختيار العنوان إلى توظيف الجملة الفعلية المصدرة بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار والسطوع الإيجابي مع اختفاء الفاعل (أنا) الذي يدلّ على العموم. حاول الشاعر من خلال هذا الضمير تسجيله الكثيف ضمن هذه القصيدة ليعبّر بقوة عن نفسه وتثبيت الهوية ضدّ العدو الغاشم، فقد كان حضوره في النص حضوراً

منطقياً ليزيد من عزيمة المتلقين. أراد الشاعر من خلال هذا الضمير المستتر الإفصاح عن دفاع كافّة المتلقين عن هوية الشعب الفلسطيني ورفض السلطة القامعة والكيان الصهيوني، ونراه يحاول عبر عنونة القصيدة مساهمة المتلقي مع الفكرة الرامية إليها. حاول الشاعر عبر هذا العنوان انتقاد تلك الدول العربية والإسلامية التي خانت القضية الفلسطينية وتقاعست عن نصرة هذا الشعب المقهور. أملت حالة التوتر والأزمة التي عاشها الشاعر نمطاً معيناً من التركيب اللغوي يتأرجح معظمه بين إثبات الذات ومهاجمة الكيان الصهيوني. ومن هنا تحولت هذه القصيدة ساحة عراك يصارع الشاعر مع الآخر/ المحتلّ.

توحي هذه الجملة الفعلية للعنوان بوجود الاتزان والانسجام في القصيدة التي جاءت كنتاجٍ إبداعي لجملة من الأزمات والتطورات التي انتابت المجتمع الفلسطيني. إذن، فالزمان عبر هذه العنونة وسيلة ناجعة ومريحة للحبكة الفنية وصار مطواعاً يتلاعب به الشاعر ليتفق مع مواقفه ورؤاه الفكرية التي تختزل عبره هواجسه الشخصية وهمومه النفسية. سعي الشاعر عبر عملية العنونة إلى استثمار الزمن باعتباره قيمة فنية في القصيدة العربية الحديثة ليضفي على خارطة النص الشعري سمة الإبداع التي تربطه بالنص والمرجع.

من البديهي أنّ العنوان أول شيء يتعرض إليه القارئ عند قراءة أي نصّ، ومن هنا يثير عدة أسئلة تأويلية في ذهنه بمجرد رؤية هذا العنوان، إذ تفتح هذه الاحتمالات التأويلية آفاقًا رحبة لمقاربة الحقيقة السيميائية للعنوان.

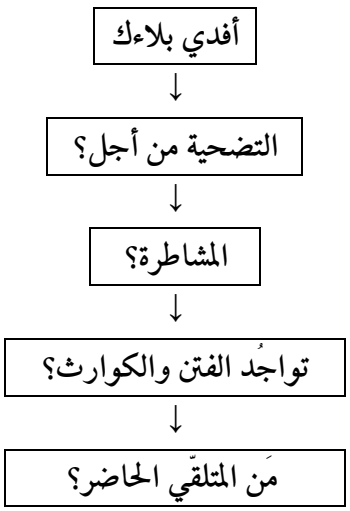

يجسد هذا العنوان الإطار النفسي والانفعال الوجداني الذي يعيشه الشاعر، فهو بمثابة قالب أفرغ فيه مشاعره وأحاسيسه وأفكاره المسجلة. وظف الشاعر هذا العنوان للتعبير عن ثلاث وظائف أساسية وهي الوظيفة النحوية الحاملة للمعني، الوظيفة الإيقاعية التي تتضمن على التنغيم والموسيقى، والوظيفة التصويرية التي تعبر في أوضح شكل عن القضية الفلسطينية وما قام به الكيان الصهيوني ضد هذا الشعب.

المستوى الصوتي للعنوان

المراد من المستوى الصوتي للقصيدة بأنّه عبارة عن كميّة من الأصوات التي تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها[١٢]. تتركب هذه القصيدة من ثمانية مقاطع صوتية حيث تؤثر هذه الكمية الصوتية في جذب انتباه القارئ من جانب، وإظهار المعاني المختلفة التي رمي إليها الشاعر ضمن خارطة القصيدة من جانب آخر.جاءت هذه القصيدة مفعمة بكثيرة من الظواهر الصوتية والإيقاعية الحاملة للدلالة حيث تألفت هذه القصيدة من ٩٦ بيتاً.

يتألف عنوان القصيدة من تسع حروف نحاول تصنيفها حسب التذبذب الصوتي، ونجد هذه الأصوات بحذافيرها تتألف من الحروف المجهورة:

الألف	المجهورة
الفاء	المجهورة
الدال	المجهورة
الياء	المجهورة
ء	المجهورة
الكاف	المجهورة

لاحظنا من خلال التركيب الصوتي للعنوان أنّه تألّف كله من الحروف المجهورة ولكل هذه الأحرف معان ودلالات معينة مما يعطي العنوان سمة دلالية غير مباشرة. فكل هذه الأحرف المهجورة تتسم بالقوة والشدة. لعلّ اختيار الشاعر لهذا النوع من المقاطع الصوتية في العنوان يعود إلى الحالة الشعورية التي كان يعيشها وهذا مما يدل على تنامي الأحداث لدى الشاعر حيث نجده على أهبة الاستعداد للتعبير عن العواطف والمشاعر الدفينة. يمثل

هذا الكمّ الهائل من الأصوات المجهورة تلك الحالة النفسية في وجدان الشاعر ولم يكن اختيار هذه الأصوات اعتباطاً أو وحياً من الصدفة، بل تعمّد في رصفها ونُسجت بوعي الشاعر، إذ أجبره احتباس المشاعر والأحاسيس على أن يجهر ليستطيع المخاطب سماع أنينه ليجعل كلامه كخطاب مباشر صريح دون أي همس وصوت خافت، فجاء هذا التوظيف للمجهورات مطابقاً لهذه الحالة الروحية والوضع النفسي المتوتر الذي أثار هذه التوتر القائم في نفسه. لعل هذا المستوى الصوتي صار تعبيراً دقيقاً عما يحتقن في نفسية الشاعر من عواطف مكبوتة ومشاعر كئيبة أبداها بهذه المهارة اللغوية الفائقة. انطلاقاً من هذا الموقف، حاول الشاعر أن يخلق من هذه الأصوات المجهورة وظيفة إبلاغية وفنية تساهم في تحديد المعني ليؤدي الغرض المطلوب.

تبرز دلالات القوة والشدة ضمن المجهورات من خلال المصائب والكوراث والفتن والتطهير القومي الذي انتاب مدينة فلسطين عبر الممارسات الإجرامية والإرهابية من قبل الكيان الصهيوني. من ثمّ، نجد الشاعر تارة عبر هذه المقطوعة يستخدم الشخصيات التاريخية (طارق بن زياد، والمعتصم) التي تتميز بالقوة والصلابة من أجل التحرير والتخلص من نير الاستعباد والاستغلال، إذ عملت هذه الشخصيات في تمطيط بنية القصيدة وتوسيع نواتها الدلالية.

لا ريب أنّ شدة الأزمات الروحية والمواقف النفسية ومعاناة الشعب المقهور مما ساق الشاعر مساق توظيف هذا العنوان للمقطوعة الشعرية التي تتلاءم مع هواجسه الروحية وتعبّر بصورة واضحة عن تعامل الشاعر مع الشعب وتجسّد مشاطرته لهذا الشعب في الآلام والنكبات التي اعتصرت نفسه. يدلّ استخدام هذه الحروف المجهورة على عدم التوازن الروحي وانعدام الأمن والسلام ومخالفة الأسس والمنطق الفكري الذي يدّعيه الكيان الصهيوني ويفح عن فضاحة هذا الكيان المزيف.

المستوى المعجمي:

يتركب العنوان من ثلاث وحدات معجمية هي (أفدي- بلاء- ك). هذه المفردات النصية تشتمل في طياتها على العلاقات الدلالية في حقل دلالي منسجم ضمن محور العلاقات التركيبية والدلالية. إذا أمعنا النظر في هذا العنوان المختار للقصيدة العتومية (أفدي بلاءك) نجد الدلالة النحوية التي تتألف من الفاعل والمفعول.

ورد في لسان العرب معنى المادة اللغوية للفداء حيث يقال: فديتُه فدًي وأفديتُه والمفاداة: أن تشتريه، فديتُه بمالي فداءً وفديته بنفسي. يقال: فداه يفديه فداءً وفدًي وفاداه يفاديه مفاداة إذا أعطي فداءه وأنقذه. فدّاه إذا قال له: جعلتُ فداك. الفداء للتعظيم والإكبار لأنّ الإنسان لا يفدّي إلا من يعظمه فيبذل نفسه له[١٣]. يقال في البلاء بلوتُ الرجل وبلاءً وابتليته: اختبرته والبلاء يكون في الخير والشرّ، يقال: ابتليته بلاء حسناً وبلاء سيئاً[١٤].

الممعن في هذا العنوان يجد نمطاً من العلاقة المتلاحمة والتلاصق القريب بين المعني والعنوان المختار للقصيدة إذ يريد الشاعر بكل ما في كيانه من الحب والمودة أن يبذل كل غال وثمين من أجل الأطفال أو الشعب الفلسطيني المقهور اللذين رزحوا تحت نير الاحتلال والغصب. المعني الدلالي الذي نجده خلال هذه القصيدة يمتّ بصلة وثيقة ووطيدة إلى معنى التفدية التي اختارها الشاعر للقصيدة. من هنا نجد نوعاً من التلاصق والانسجام الدقيق بين العنوان وما ورد في خارطة النص الشعري من معان دلالية، فالعنوان هو القصيدة نفسها وهو بؤرة دلالية للقصيدة حيث تحمل فكرة الشاعر وما رمي إليه عبرها. انطلاقًا من هذا، يمثل ضمير المخاطب (الكاف) في اللفظة (بلاءك) نوع الإنسان الفلسطيني المضطهد الذي يحارب منذ سنين عديدة ضروباً شتي من التهجير والتقتيل وإراقة الدم. نجد الشاعر يستخدم جملة من الوظائف اللغوية للتعبير عن المعني المراد حيث يمكننا أن نحصرها في دائرة التأثير العاطفي في المتلقّي وترسيخ المنتوج في ذهنه. يعدّ هذا العنوان للقصيدة مرآة صافية لكل ما عاناه الشاعر كأنه ذاق الشدائد والمصائب بكل وجوده وعدّ نفسه واحداً من هذا الشعب المسلوب.

يشكل هذا العنوان خطاباً مستقلاً في ذاته ويزيل عتمات النصّ الدلالية وكل ما ورد في ثنايا القصيدة يعدُّ شرحاً وتفسيراً له. فالعلاقة بين العنوان والنص علاقة جدلية تتمثل في تفاعل النص مع العنوان عبر الانسجام الدلالي أو تخيب أفق انتظار القارئ[١٥]. من هنا نستطيع القول إنّ هذا العنوان للقصيدة يعكس ما يجري في المجتمع الفلسطيني من مآس ونكبات ومصائب وقد يكون عاكساً للواقع السياسي العربي بصورة عامة.

من نماذج قوله في القصيدة:

أفـــدي بـــلاءك أيهـــا الطفـــل الـــذي ... لمـــــا يفـــــارق صـــــحوةَ المـــــيلاد
في كفّـــــه مـــــوتٌ وفي أنفاســـــه ... نـــارٌ وفيـــه صـــرخة الإرعـــاد[١٦]
أفـــدي بـــلاءك حـــين أنظـــرُ أمّـــتي ... وســـيوفُها صـــدئت مـــن الإغمـــاد
رقصـــت علـــى ألم الجـــراح طَروبـــةً ... وشـــدت علـــى الأوتـــار والأعـــواد
أفـــدي بـــلاءك حـــين تشـــمخ صـــامداً ... ثبتـــاً علـــى الآلام كـــالأطواد[١٧]

نلاحظ من خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ العنوان هو القصيدة نفسها حيث لم يكن اختيار العنوان اعتباطياً ومحاكاة، بل أخذ العنوان ونصّ القصيدة منحي نضالياً ومأساوياً ينتجان إثنين من المقتضيات الدلالية: التحرير وتعزيز الضمان الاجتماعي والقومي.

نجد الشاعر يعتصر معظم ملفوظات النصّ من رحم العنوان ويبني قصيدته على رؤية إبداعية تمثّل التشاكل القائم بين العنوان والنصّ.

علاقة العنوان بالواقع:ـ

لا نبعد إذا قلنا إنّ هذا العنوان وليد الواقع وما أحاط بالشاعر من أحداث ووقائع، فمن هذا المنطلق يتمحور هذا العنوان حول النكبة الفلسطينية والتحريض على التحرير واستعادة الأراضي المسلوبة. إنّ المتمع في هذه القصيدة يجد أنّ تدهور الظروف سياسياً واجتماعياً والحصار الثقافي والاقتصادي ساق الشاعر مساق عنونة القصيدة، ولا يمكن معرفة هذا العنوان سوي عبر الإلمام بالقضايا الراهنة في المجتمع الفلسطيني، ((فالتحولات التي تلحق نظام العنونة في فترة ما أو في دائرة اتجاه أدبي أو نصي أو رؤيوي ما ليست اعتباطية، بل هي مرتبطة عن الأديب الواحد أو عند جيل بكامله بطبيعة الواقع الذاتي والمحلي والقومي والإنساني))[١٨]. نجد الشاعر يحاول من خلال هذا العنوان للقصيدة أن يضفي عليها قيمة تشكيلية مركزة وبُعداً فنيا يتماشى مع النص للإبانة عن الدلالات المكثّفة التي تسوق القارئ مساق إثارة التساؤل.

من نماذج قوله:

حشـــدُ اليهـــودِ أمامـــه مِقلاعهـــم ... كســـــنابلٍ في منجـــــل الحصّـــــادِ
أرضَ الـــــنّبيّ وللتـــــراب مهابـــــةٌ ... فلقـــد تخضّـــلَ مـــن دم الأجنـــادِ
قـــد جئـــتُ هـــذا اليـــومَ أقـــرأُ قطعـــةً ... أبياتُهـــا يـــدمي بهـــنَّ فـــؤادي
فـــإذا سمعـــتِ قصـــائدي فترحّمـــي ... عـــن أمّـــةٍ بُليـــت بطـــول بِعـــادِ[١٩]

إنّ المتأمل في هذا العنوان للقصيدة الحديثة يجد أنّ الحافز السياسي والذبّ عن الهوية الدينية والإسلامية والانتماء القومي كان من أهم الحوافز التي ساقت الشاعر مساق عملية عنونة القصيدة، ومن ثم نجد في تضاعيف هذه المقطوعة الشعرية نمطاً من الصراع المحتدم بين الشاعر والكيان الصهيوني والدول المتغطرسة في العالم العربي والإسلامي. إذن، فعملية العنوان تعبر بصورة واضحة عن إيديولوجية الشاعر الخاصة إثر التطورات التي شهدتها البلدان العربية والإسلامية خاصة فلسطين المحتلة عبر الحقبة الراهنة. بناء على هذا، نلاحظ علاقات وطيدة بين العنونة والواقع المعيش الذي يمثّل انفعالات الشاعر وتعامله مع المجتمع الإنساني عبر بنية القصيدة، فالعنونة صارت أداة مطواعاً لخدمة البنية الرؤيوية للقصيدة. يأتي هذا العنوان لخدمة واقع سياسي متأزّم والإفصاح عن أبشع واقع يعيشه الشعب العربي والإسلامي.

علاقة العنوان بالنص:

يعدّ العنوان رأساً لعتبة النص الإبداعي ويتمحور التحليل حوله، إذ لا يمكن تحليل النص إلا عبره، فالعنوان ((أكبر ما في القصيدة، إذ له الصدارة وبيرز متميزاً بشكله وحجمه، وهو أول لقاء بين القارئ والنصّ))[٢٠]. يتبين لنا عبر إمعان النظر في العلاقة بين النص والعنوان للقصيدة أنّ العنوان هو كل ما ورد في ثنايا القصيدة من هواجس ومواقف فكرية وانفعالية، فمن هنا نجد الشاعر يجهد نفسه لعملية العنونة حيث تنسجم مع كل ما تمّ ذكره في الأسطر الشعرية. فالقصيدة كما تبدو تعبر بصورة واضحة عن المؤامرات والدسائس والممارسات الإرهابية التي قام بها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والشاعر يحاول دوماً تجسيد المواقف الشعورية والنفسية تجاه قضية الاحتلال وتسجيل حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. ينطبق هذا العنوان تمام الانطباق مع هيكلية القصيدة.

من نماذج قول الشاعر في القصيدة:

أفدي بلاءك حين يرعبُ أمّةً ... هِرراً بثوب النمر والآساد

تستنزفُ الصبرَ الكؤودَ وتنثني ... وتعيش في صبر بغير نفاد[٢١]

يا غزّةُ من رجالكِ ثلّةٌ ... دفعت إليكِ بفلذة الأكباد

ساروا إليكِ على هدي إيمانهم ... وتمثّلوا دربَ النبيّ الهادي

صُنّاعُ حتفٍ للعدوّ مبدِّدٍ ... نُقّاش سِفر الخلد من أمجاد[٢٢]

نلاحظ من خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ عملية عنونة القصيدة تتلاحم مع ما عاني الشاعر من قضية الاحتلال وما يتبعها من خسائر فادحة في الأموال والأرواح. تثير عملية العنونة للقصيدة تساؤلات في ذهن القارئ إذ لا يعثر على إجاباتها المقنعة إلا بعد قراءة القصيدة، فلا بد للمتلقي أن يلج إلى عالم القصيدة عثوراً على تلك الإجابات ليسقطها على العنوان وتنطلق القراءة الاستكشافية للقصيدة من العنوان. هذا العنوان الحقيقي الذي اختاره الشاعر يعدّ هوية للنص الإبداعي. مما ريب فيه أنّ الشاعر وفّق تمام التوفيق في اتساق النص وانسجامه مع العنوان وتحققت بذلك مقروئية النص حيث تبينت عبره المقاصد المباشرة وغير المباشرة ونجد بينهما العلاقات الجدلية والانعكاسية. بهذا صار العنوان لدى الشاعر بنية رحمية تولد معظم دلالات النص. يستطيع القارئ من خلال العنوان استكناه مضامين النص وتفكيك شفراته ومحاوره الدلالية نظراً لما يحويه العنوان من دلالات مكثفة تسهم في النهوض بالنص، ومن ثمّ يدرك القارئ بأنّ العنوان جزء لا يتجزّأ من بنية النص ولا يتمتع بالاستقلال عنه.

مستوى الموسيقى:

تعدّ الصورة الموسيقية لبنية القصيدة العربية الحديثة من أهمّ سمات التجربة الشعرية، إذ تنساب أنغامها في وجدان الشاعر ألحاناً ذات دلالة وتصقل موهبته النغمية وتوقظ لديه التلوين الإيقاعي الذي يستخدمه وتخلق فيه الإحساس بجرس الكلمة ونبر اللفظ وتطبع أذنه بطابع الانتقاء والاختيار(٢٣). إذن، فالموسيقى تعمل على خلق ضربين من النغم والجرس ضمن بنية القصيدة، الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية.

الموسيقى الخارجية

لا زيب أنّ للموسيقي دوراً هامًّا وبارزًا في نقل القيمة التعبيرية والتصويرية وتكوين التجاوب بين المتلقي والأنغام التي تعدّ جزء لا يتجزّأ من التجربة الجمالية حيث يختارها كإطار انفعالية للغة الشعرية.

يتبين لنا من خلال إمعان النظر في البنية الموسيقية عبر هذه القصيدة أنّ الشاعر أنشدها في بحر السريع الذي ينبني رويّها على الحرف (الدال) حيث يقول في مستهلّ القصيدة:

قِـــف بالعروبـــة يـــا سمـــيرَ الحـــادي ... مـــن كـــلّ نجـــمٍ في الســـماء وشـــادي
وانظـــر إلى حـــالٍ تهشّـــك نســـجُه ... وعفـــا عليـــه تعاقـــبُ الآمـــاد
أمـــمٌ تعشّـــاها الضـــياعُ فمـــا لهـــا ... في دربهـــا تمضـــي بغـــير قيـــاد؟[٢٤]

يلاحظ القارئ لشعر أيمن العتوم توظيف هذا الحرف المجهور ولعلّه اكتسب هذه القدرة الفائقة في توظيف هذا اللون من التعبير بفضل تمكنه من اللغة العربية وقدرته المتميزة على انتقاء الحروف ذات الجرس الموسيقى والصوتي الموافق.

نجد عبر الأسطر الشعرية المذكور أعلاها أنّ وراء الموسيقى الداخلية موسيقي خارجية تكمن في حسن اختيار الألفاظ وتلاءم حروفها.

من الواضح خلال هذه المقطوعة أنّ الشاعر عمد إلى نمط من الانسجام والتلاحم بين عنونة القصيدة وحرف الروي الذي بني عليه قصيدته ونلاحظ أنّ الحرف (الدال) يتواجد في عنوان القصيدة والروي عبر خارطة النص الشعري وهذا مما يلفت النظر ويسترعي الانتباه. فصوت الدال ساهم في تجسيد دلالات المعاناة الروحية ورسم ملامح الضياع عبر القصيدة. كما نعلم أنّ حرف الدال من الحروف المجهورة التي تخلق لحوناً وتأثيرات نفسية متعددة، فالممعن في هذا التوافق اللغوي والدلالي الذي يدلّ على قدرة الشاعر على توظيف ألفاظه في العنوان والروي يجد أنّ الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر جعلته يستخدم هذه الأصوات اللغوية التي تساهم بشكل كبير في إيصال المشاعر والأحاسيس الداخلية إلى المتلقين. نستطيع القول إنّ الشاعر اختار الحروف ضمن خارطة النص الشعري عبر تدقيق النظر في التفكير النقدي والشعري والقيام بالمطابقة بين الكلام والواقع المعيش.

عمد الشاعر إلى توظيف هذا الحرف ليجعله قادراً على التكيف والتوافق مع انفعالاته النفسية ومعاناته الروحية وهذا مما يزيد اللغة ثراء وامتداداً. فصار توظيف بحر السريع وبناء القصيدة على هذا الحرف- أعني الدال- بمثابة حوار داخلي يساعد الشاعر على إفراغ الشحنات العاطفية وإبراز المكبوتات النفسية. من ثم كان اختيار الصوت من قبل الشاعر كان عملاً واعياً ومقصوداً في السياق اللغوي إذ يعبر عن أسلوب الشاعر في نقل أفكاره ومشاعره عبر نظام الموسيقى. هذا مما يزيد ((من إحساس الشاعر بالضياع والغربة ويمنحه فرصة أطول لاسترجاع أوهامه والتي يرعاها وذكرياته التي يعيشها))[٢٥].

مما يلفت النظر عبر هذه المقطوعة أنّ الشاعر عمد في الشطر الأول إلى توظيف حرف المدّ الطويل (الياء) الذي أكسب النص الشعري بطئاً موسيقياً وهي تمثل انفعالات الشاعر وانشغالاته النفسية، فضلاً عن البُعد المعنوي الذي يقصد به استطالة الحزن وترسيم المأساة. من هنا نستطيع القول إنّ حروف المدّ ((التي تكسب المقطع نوعاً من البطء الموسيقى...، أو ما يمكن أن يوصف بالتراخي الموسيقى، كما أنّ انعدامها أو قلتها يسهم في إضفاء نمط من الموسيقى الأقرب إلى السرعة))[٢٦].

الموسيقى الداخلية:ـ

من أهمّ تمظهرات هذا النوع من الموسيقى، تكرار الجملة وتكرار الكلمة الذي نعالجه في متابعة البحث قدر المستطاع.

تكرار الجملة:ـ

تعتبر تقنية التكرار من أهمّ السمات الأسلوبية التي اتخذها الشعراء منذ القدم وسيلة هامّة في الإبداع الفني، غير أنّ الشعراء في الشعر العربي الحديث عمدوا إلى توظيفها كأداة لغوية طيعة لتأكيد المعني وتسجيله وتقريره في ذهن المتلقي. ذلك لأنّ ((المتتبع لشعراء الحداثة وشعرهم يدرك أنّ بنية التكرار هي أكثر البني التي تعامل معها هؤلاء الشعراء، ووظفوها بكثافة لإنتاج الدلالة إلى درجة أنها في بعض الأحيان تستغرق النص الشعري كله))[٢٧].

استخدم الشاعر هذه التقنية عبر الأسطر الشعرية من أجل إثبات الفكرة الرامية إليها والمواقف الشعرية والشعورية والتعبير عن التجربة الذاتية والشخصية التي اكتسبها عبر التعامل مع الكيان الصهيوني وما عاني الشعب الفلسطيني من ظلم وبطش وقهر. والذي ساق الشاعر مساق توظيف هذه السمة الأسلوبية ضمن المقطوعات الشعرية هو التوتر والدهشة وما شاهده في فلسطين المحتلة من مشاهد دامية ومظاهر التقتيل والتهجير والسجن وملاحقة المناضلين وتعذيبهم. فضلاً عن ذلك، استطاع الشاعر أن يتخذ التكرار أسلوبًا ينهض بالقيمة الجمالية لعلمية الإبداع من جانب، وتمثيل الصور الموقفية بغية إثراء النص وتعزيز الموقف المأساوي وتعميقه من جانب آخر.

إنّ هذا الواقع المعيش المرّ الذي يعيشه الشاعر كان بمثابة ينبوع ثرّ وزاخر في عملية تكثيف الدلالة وتعميقها.

من نماذج قوله:

أ ســـألتِهم؟ بـــاعوا الـــديارَ لُعاعـــةً	ورضـــوا بصُـــلحٍ كـــافرِ الأشـــهاد
أ ســـألتِهم؟ تركـــوا الجهـــادَ وبـــايعوا	كفًّـــا تُمـــدُّ كذوبـــةَ الأمـــداد
أ ســـألتِهم؟ شـــربوا كـــؤوس دموعنـــا	وضـــوا بحفنـــة ذلّـــةٍ ورمـــادِ
أ ســـألتِهم؟ لِـــمَ لم يزالـــوا في الـــوغي	يتقنّصـــون القـــردَ كالصـــيادِ[٢٨]

نلاحظ من خلال هذه المقطوعة الشعرية أنّ الشاعر عمد إلى تكرار الجملة الفعلية (أسألتِهم) أربع مرات حيث ينادي ((غزّة)) ويخاطبها. نشأ التكرار عن حالة شعورية مكثفة انتابت الشاعر ولا يستطيع التحول عنها وتسيطر عليه ولا تفارقه، فتنعكس هذه الحالة على إنتاجه الشعري حيث تعطي النصّ نكهة موسيقية خاصة. نري أنّ الشاعر يوظّف التكرار لدوافع نفسية وفنية وذلك لما يحمل التكرار عبر المقطوعة من دلالات تنمّ عن الأحاسيس المكبوتة والمشاعر الحزينة في نفسية الشاعر ونجده يحاول تسليط الأضواء على خيانة وغدر أولئك الذين قاموا بتطبيع العلاقات والتفاوض من أجل الصلح مع الكيان الصهيوني وتأنيب الدول العربية والإسلامية التي تقاعست عن نصرة الشعب الفلسطيني وتخلّت عنه. هذا مما يعبر بصورة واضحة عن عمق المأساة في نفسية الشاعر. قام التكرار عبر هذه المقطوعة بالوظيفة النفعية في الكشف عن المعني وقدرته على إيصال الفكرة إلى المتلقي.

تكرار الكلمة

لكل كلمة داخل النسيج الشعري وظيفة دلالية محددة، فإذا تكررت تسترعي الانتباه وتلفت الأنظار لما لها من شدّ الانتباه داخل النصّ. في الواقع تشكل الكلمة ((المصدر الأول من مصادر الشعراء والتي تتشكل من صوت معزول أو من جملة من الأصوات المركبة الموزّعة داخل السطر الشعري أو القصيدة بشكل أفقي أو رأسي، وهذه الأصوات تتوحد في بنائها وتأثيرها، سواء أ كانت حرفًا أم كلمة ذات صفات ثابتة كالأسماء، أو ذات طبيعة متغيرة تفرضها طبيعة السياق كالفعل))[٢٩].

من نماذج قوله:

أعناقنـــا طالـــت لطـــول التطلـــع ... أتمـــــدُّ أعنـــــاقٌ إلى الجلّـــــاد؟[٣٠]
ونقـــول هـــذا الصـــلحُ صـــلحٌ جـــائرٌ ... ونقـــول ذاك الكفـــر كفـــرٌ عـــادي
لا نهـــج بعـــد اليـــوم إلا نهجُكـــم ... نهـــجُ الألي مـــن رفعـــةٍ وســـدادِ[٣١]

نلاحظ من خلال هذه المقطوعة أنّ الشاعر يستثمر التكرار الذي يضفي على النصّ قوة وانسجاماً وحيوية، لأنّ الجرس الموسيقى الناشيء من التكرار ينسجم مع المعني الذي رمي إليه الشاعر. عمد الشاعر عبر هذه المقطوعة إلى تكرار الألفاظ (أعناق/ صلح/ كفر/ نهج) تعبيراً عن الزفرات الانفعالية المتأججة والمشاعر المأساوية التي تكسب النصّ طاقة دلالية عميقة. استخدام الشاعر تقنية التكرار عبر هذه الأسطر الشعرية لعدة حوافز، منها تأكيد المعني وترسيخه في ذهن المتلقي، المساهمة في بناء الإيقاع الداخلي لتحقيق الانسجام الموسيقى، إضفاء التلوين الجمالي على القصيدة والتعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها. جاء هذا النمط من التكرار معبّراً عن تشاكل لفظي ودلالي معًا وحضوره ضمن النسيج الشعري يحمل قيمة سيميائية إذ حاول الشاعر عبرها تجسيد المعاناة والمقاساة. لا ريب أنّ تمظهرات تقنية التكرار لدى الشاعر لم تكن اعتباطية ولا عشوائية، بل هي ((الصدور اللاواعي عن المخزون النفسي للشاعر وسياقه الذهني وموقفه من الكون والتطور التاريخي والحضاري في المسيرة الإنسانية))[٣٢].

خاتمة:ـ

لابدّ لنا من وقفة لتلخيص أبرز النتائج التي خلص إليها البحث كما يلي:

١- يتضح لنا مما سبق أنّ الشاعر عمد إلى توظيف المعني الديني والسياسي لمدونته الشعرية- أعني المسجد الأقصى- ثمّ تجسيد معاناته الروحية عبر عنونة القصيدة من أجل توصيل الرسالة إلى المتلقي دون غموض يشوبها ليساهمه في المواقف والرؤي ويتفاعل معه.

٢- استطاع الشاعر من خلال رصف المفردات عبر عملية العنونة بناء صرح القصيدة إلى أبعد غاية في الوضوح والانسجام حيث حاول من خلالها التعبير عن مكنوناته

العاطفية لتجسيد تفوقه في الإبانة عن الدلالات المكثفة.

٣- تنمّ عملية العنونة لدى الشاعر عن مدّ دلالي واسع وكنه ثقافي عميق. فقد جعل الشاعر من فاتحة العنوان المختار للقصيدة بداية لتحريض المتلقي وإثارة انتباهه للولوج إلى عالم المخاطب لما تتمتع هذه العملية باحترافية ولغة سامية.

٤- لاحظنا خلال هذا العنوان للقصيدة أنّ الشاعر يمارس عتبة اللغة الروتينية دون أي غموض وتعقيد تعبيراً عن المعني المراد الذي يختلج صدره.

٥- تبين لنا عبر عنونة القصيدة الحديثة للشاعر أنّ العنوان يعدّ بمثابة بنية دلالية للمعني المقصود وأراد الشاعر من خلال اختيار العنوان تأليف المفردة أو المفردات الدلالية التي تعلو بنية النص الشعري حيث تتحكم به قواعد سيميائية تحاول بلورة المراد وتحديد المواقف الشعرية والشعورية ليكون ذلك محفزاً للقارئ في إنتاج الدلالة أكثر والكشف عن العلاقات الرابطة بين العنوان والنصّ.

٦- من الواضح أنّ للنص الإبداعي بصورة عامة وبصورة خاصة عند الشاعر دوراً فعّالاً ومحورياً لتوجيه صياغة العنوان، فمن هذا المنطلق نجد نمطاً من التوازي الشكلي والدلالي بين العمل الإبداعي والعنوان لدى الشاعر.

٧- تبين لنا من خلال هذا العنوان للقصيدة أنّه يدل على الهاجس الديني والإسلامي لدى الشاعر من أجل الذبّ عن الهوية الإسلامية والانتماء القومي وترسيم ما انتابه من مشاعر مؤلمة. يدل هذا الأمر على ثقافته العميقة والشعور المرهف بآلام وأوجاع الشعب الفلسطيني وما حملته هذه القضية الإنسانية من مسؤوليات كبيرة تجاه هذا الشعب. بناء على هذا، نسج جلّ عناوين قصيدته وبناءها الدلالي على محور القضية الفلسطينية.

هوامش البحث

(١) www. palinfo.com

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ١٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ ه، مادة سوم.

(٣) ابن خلدون، مقدمة، دار البلجيني ومكتبة الهداية، دمشق،٢٠٠٤م، ٢٨٢

(٤) المرتجي، سيميائية النص الأدبي، الدار البيضاء، أفريقيا، ١٩٨٧م، ٣

(٥) سعيد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف،الجزائر،٢٠٠٣م،٩٩

(٦) صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق،القاهرة،١٩٩٨م،٢٩٧.

(٧) بلعاد، عتبات (ج. جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ٢٠٠٨م، ٤٤

(٨) إبراهيم، صدع النصّ وارتحالات المعني، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ٢٠٠٠م، ٤٥

(٩) عبدالملك، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، دار الكتاب العربي،الجزائر،٢٠٠١م،٢٣

(١٠) مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتجية التناص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ١٩٩٢م، ٧٠

(١١) مصطفي، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٧م، ٧٠

(١٢) عبدالتواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م، ١٩٤

(١٣) ابن منظور، السابق، مادة فدي

(١٤) الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، مادة بلو

(١٥) الحجمري، عتبات النصّ: البنية والدلالة، الدار البيضاء وشركة الرابطة، المغرب، ط١، ١٩٩٦م، ٣٧

(١٦) العتوم، خذني إلى المسجد الأقصى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠١٤م، ٧٨

(١٧) المصدر نفسه، ٨٨

(١٨) حسين، الطريق إلى النص، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م، ٧٨

(١٩) العتوم، السابق، ٩٧

(٢٠) العدواني، تشكيل المكان وظلال العتبات، النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٢م، ٧

(٢١) العتوم، السابق، ٩٢

(٢٢) المصدر نفسه، ٩٦

(٢٣) أنيس، موسيقي الشعر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط٥، ١٩٨١م، ٩٩

(٢٤) العتوم، السابق، ٨٥

(٢٥) سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،١٩٨٣م، ٤٠

(٢٦) أطيمش، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ٣٠٧

(٢٧) عبدالمطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، ٣٨١

(٢٨) العتوم، السابق، ٩٦

(٢٩) شرتح، جمالية التكرار في الشعر السوري، دار رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ٤٩٣

(٣٠) العتوم، السابق، ٨٩

(٣١) المصدر نفسه، ٩٠

(٣٢) درويش، مسار التحولات، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ٢٤٤

قائمة المصادر والمراجع

- أنيس، إبراهيم، موسيقي الشعر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط٥، ١٩٨١م.
- أطيمش، محسن، دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- ابن خلدون، ولي الدين محمد، مقدمة، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، دمشق، دار البلجيني ومكتبة الهداية، ٢٠٠٤م.
- إبراهيم، محمود، صدع النصّ وارتحالات المعني، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٠م.
- بلعاد، عبدالحق، عتبات (ج. جينيت من النص إلى المناص)، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨م.
- بنكراد، سعيد، مدخل إلى السيميائية السردية، الجزائر، منشورات الاختلاف،ط٢٠٠٣،٢م.
- الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- حسين، سليمان، الطريق إلى النص، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م.
- الحجمري، عبدالفتاح، عتبات النصّ: البنية والدلالة، الدار البيضاء وشركة الرابطة، المغرب، ط١، ١٩٩٦م.
- درويش، أسيمة، مسار التحولات، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- سلوم، تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، سوريا، دار الحوار للشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
- شرتح، عصام، جمالية التكرار في الشعر السوري.ط١.دمشق:دار رند للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
- عبدالتواب، رمضان، فصول في فقه العربية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٦، ١٩٩٩م.

- عبدالمطلب، محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٥م.
- العدواني، معجب، تشكيل المكان وظلال العتبات، النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٢م.
- العتوم، أيمن، خذني إلى المسجد الأقصى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
- فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي،دارالشروق،ط١،القاهرة،١٩٩٨م.
- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري إستراتجية التناص، المغرب، المركز الثقافي العربي،ط٣، ١٩٩٢م.
- المرتجي، أنور، سيميائية النص الأدبي، أفريقيا، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- مرتاض، عبدالملك، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، الجزائر، دار الكتاب العربي،ط١،٢٠٠٣م.
- مصطفي، حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٧م.

الشبكة العنكبوتية:

(www. palinfo.com)